التنافس الدولي على ثروات بحر قزوين

(الحلقة الرابعة)

ج-اوروبا:
لا توجد للاوربيين سياسة خاصة بهم خارج نطاق السياسة الامريكية واستراتيجياتها في بحر قزوين، فاشركات الدولية الغربية في معظمها شركات امريكية-بريطانية والمانيا متخصصة في مجال اوروبا الشرقية، بينما تبذل بعض الشركات الفرنسية محاولات للحصول على موطئ قدم.

د- الولايات المتحدة:
ان الميزة الجيوبوليتيكة التي تتميز بها الولايات المتحدة عن باقي معظم مناطق العالم هو بعدها الجغرافي عن الكتلة الارضية التي تضم اكثر من ٩٠٪ من سكان العالم واكثر من ٩٠٪ من دول العالم. ان ذلك البعد الجغرافي قد فرض على تلك الدولة القارية بمساحتها وثرواتها، العمل على مد القوة على نحو تتمكن فيه من الوصول الى اية بقعة في العالم من دون ان يتمكن احد من الوصول اليها. ولذلك كان لا بد وفقاً المنظور الامريكي، من القضاء على الاتحاد الذي سخر كل امكانياته لهدف التسلح على نحو يتمكن فيه الوصول الى الولايات المتحدة. وقد اتاح انهيار الاتحاد السوفياتي للولايات المتحدة فرصة التعرف على الامكانيات التسليحية التقليدية وغير التقليدية للاتحاد السوفياتي حيث عملت منذ عام ١٩٩١ على تحييد تلك الاسلحة كما عملت على تجريد روسيا من امكانية استعادة مجالها الحيوي التقليدي خارج الاراضي الروسية. لذلك فإن منطقة وسط اسيا تكتسب اهمية مزدوجة بالنسبة للولايات المتحدة اولها ضمان عدم عودة الدول المستقلة الى مجال النفوذ الروسي وثانيها عدم ارتهان ثروات هذه المنطقة للهيمنة الروسية.

ولا تقتصر اهمية المنطقة الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة على الخطر الروسي، بل تمتد لتشمل استراتيجية الحيلولة دون مد النفوذ الصيني من الشرق والنفوذ الايراني من الجنوب الى المنطقة.

اما من حيث النفط، فيذكر ان الولايات المتحدة قد خفضت معدلات انتاج النفط من اراضيها منذ عام ١٩٨٦ بنحو ٢٥٪ وتعزو المصادر المختلفة هذا التخفيض الى شحة المصادر النفطية لديها وقرب نفاذها، والى ارتفاع كلفة الاستخراج في اراضيها. ويلاحظ ان التخفيض في معدلات الانتاج قد ترافق مع الانخفاض الدراماتيكي في اسعار النفط عام ١٩٨٦،

وفي ضوء التقديرات العامة لعمر النفط في مختلف بلدان العالم يبدو مشرعاً افتراض ان الولايات المتحدة انما تحتفظ بمخزون نفطي استراتيجي بعيد المدى ويتجاوز مدة المئة عام المقدرة لعمر نفط الخليج.

لذلك يمكن تلخيص الاهداف الامريكية ازاء منطقة بحر قزوين بالنقاط التالية:

١- الحيلولة دون هيمنة روسيا على النفط توفر لروسيا اموالاً طائلة تمكنها من تطوير صناعتها النفطية الخاصة.

٢-الحيلولة دون تحول روسيا الى مزود رئيس مباشر للنفط الى اوربا.

٣- ضمان تدفق نفط بحر قزوين الى العالم من خلال يد امريكية.

٤- تخفيض اسعار النفط الى حد لا يضر بمصالح الشركات الدولية.

٥- ايجاد التوازن بين منطقة بحر قزوين ومنطقة الخليج العربي بحيث لا تعود منطقة الخليج تتمتع بالمزايا الاستراتيجية الراهنة. وقد جرى الحديث كثيراً في الاوساط الاميركية في الاونة الاخيرة عن اهداف تهميش منطقة الخليج لمدة عقدين او ثلاثة بحيث يصبح استخراج النفط في الخليج مكلفاً الى حد لا تستطيع الدول المعنية تكلف اعبائه.

وبشكل عام فإن المواقف الامريكية من منطقة بحر قزوين ما زالت قيد التكوين فمنذ ان اعلن الرئيس كلنتون عام ١٩٩٤ ان منطقة بحر قزوين ذات اهمية استراتيجية لواشنطن تراقب واشنطن التطورات عبر تحركات الشركات الدولية والاطراف الاقليمية ولم تصدر حتى الان اية مبادئ على غرار مبدأ نيكسون او مبدأ كارتر بشأن المنطقة.

هـ- ايران:
تتميز ايران جيوبوليتيكياً في ان حدودها الشمالية تصل الى بحر قزوين وتشكل افضل معبر للنفط الى الخليج العربي جنوباً ففي عهد الاتحاد السوفياتي كانتا طهران وموسكو تتقاسمان السيطرة على بحر قزوين وذلك من خلال معاهدتين وقعتا في ١٩٣١ و ١٩٤١ تنصان على ان البحر مشترك بين الدولتين. ومع تفكك الاتحاد السوفياتي وظهور ثلاث دول اسيوية تشاطئ بحر قزوين وتطالب بمياهها الاقليمية فيه وهي اذربيجان وكازاخستان وتركمانستان فإن مصير هاتين المعاهدتين ما زال مجهولاً غير انهما تضمنان في اقل تقدير حصة لكل من ايران وروسيا من ثروات بحر قزوين.

وفي ضوء عدم استغلال نفط بحر قزوين خلال عهد الاتحاد السوفياتي فقد اقتصرت المنافع الايرانية من البحر المذكور على الصيد وثروة الكافيار التي درت على ايران ارباحاً كبيرة. غير ان الاوضاع قد تغيرت الان حيث انه اضافة الى الثروة النفطية التي خرجت الى العيان، فإن تصاعد الاهمية الاستراتيجية لتلك المنطقة التي كانت تشكل فناء هامشياً للاتحاد السوفياتي، قد حرك التطلعات الايرانية للقيام بدور رئيس فيها وبخاصة ان لدى ايران مرافق نفطية متقدمة نسبياً فالتطلعات الاستراتيجية الايرانية الحالية تتركز في ان تصبح هي الناقل الرئيس لنفط بحر قزوين، عبر اراضيها الى الخليج العربي. ان تحقق هذا الهدف من شأنه ان يمنح ايران اهمية استراتيجية هائلة وسيطرة شبه كاملة على الخليج العربي ليس هذا فقط فإن تحسن العلاقات الايرانية -الامريكية من شأنه التأثير في الموقف الامريكي من الحصة الايرانية في نفط بحر قزوين.

وفي ضوء المقاطعة الامريكية لإيران والتي تحول دون تمكن الاخيرة من القيام بدور هام كناقل للنفط القزويني الى الخليج العربي اوالى تركيا فإن ايران قد اصبحت الان امام احتمالين، الانزواء او التفاهم مع الولايات المتحدة. ويبدو ان الامور تتسارع منذ وصول محمد خاتمي الى منصب رئاسة الجمهورية في اتجاه الاحتمال الثاني، وبخاصة ان دعوات كثيرة قد برزت في الولايات المتحدة مؤخرا تطالب الادارة بإعادة النظر في سياستها الايرانية، كما قفزت السياسة الايرانية خطوات مذهلة منذ مجيء خاتمي نحو التصالح مع الولايات المتحدة. بل ان اسرائيل قد دخلت مؤخراً على الخط حيث اخذت تدعم التصالح الايراني-الامريكي، الى جانب ان بعض دول شرق اسيا تفضل نقل نفط بحر قزوين عبر الممر الايراني.

و- دول بحر قزوين:
هناك ثلاث دول جديدة ذات اهمية نفطية من بين الدول الاسيوية الجديدة هي اذربيجان وكزاخستان وتركمانستان، وجميعها تشاطئ بحر قزوين وتليهما في الاهمية اوزبكستان.

فهذه الدول الثلاث غنية بالنفط والغاز على الرغم من ان مخزونها المؤكد والمحتمل ما زال يخضع للطريقة التي سيتم فيها حل الوضع القانوني لبحر قزوين اضافة الى عمليات المسح والاستكشاف التي ما زالت في بداياتها.

مسار طبيعي نحو اسعار حقيقية للنفط

برغم ان اسعار النفط الحقيقية ما زالت متدنية نسبياً اذا ما قيست بمثيلتها التي كانت سائدة مطلع الثمانينيات من القرن الماضي بحيث اصبح من المفروض ان تصل الاسعار الاسمية الى معدل الثمانين دولاراً للبرميل، فإن القيادات السياسية والاقتصادية في الدول الغربية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وكذلك وسائل الاعلام عموماً، ظلت تعزف على نغمة نشاز حول ازمة جديدة للطاقة ومعضلة الاسعار العالية وما الى ذلك بالصورة التي من شأنها التأثير سلبياً على ما يسمى بالاقتصاد العالمي والمقصود بوجه التحديد مستوى الانتعاش الاقتصادي في الدول الصناعية الكبرى الذي قد يعكر صفوه بحدود معينة مدخل الطاقة عندما تزيد تكاليفه وينعكس بالتالي على اقتصادات البلدان النامية بصور شتى لا سيما عبر ارتفاع اسعار المواد والسلع المختلفة المصدرة الى اسواق هذه البلدان ومن بينها المنتجة للنفط بما يؤدي الى الاستقطاع من عوائدها المالية النفطية بمعدلات متزايدة تؤول في نهاية المطاف الى الشركات الكبرى وتتحرك داخل الاقتصادات الاكثر غنى في عالمنا المعاصر، وتسهم في انتعاشها بالضرورة خاصة على المدين المتوسط والبعيد. هكذا تبدو المعادلة التي تحكم اسعار النفط في المرحلة الراهنة.. وهي تشير باتجاه التصحيح على نحو متوازن.. وبمعدلات تقترب من القيمة الحقيقية للموارد الهيدروكاربونية وتحديداً النفط والغاز. وعلى الجميع ان يفتشوا عن العوامل التي تقف وراء ذلك، فسيجدونها ترتبط بموازنة العرض والطلب اساساً مع ان هناك العديد من الهوامش المضافة بسبب المضاربات واجواء التوتر في بعض المناطق والبلدان المنتجة الرئيسة والحالات البيئية الطارئة وغيرها.

المحرر

استطلاع من واقع الحياة اليومية

هل نتدفأ بنار الحطب هذا الشتاء؟!

سناء النقاش

جذب انتباهي منظر عدد من النسوة يمشين بصورة منتظمة وباستقامة بالغة برغم اكداس الحطب التي يضعنها على رؤوسهن في احدى المناطق الريفية القريبة من بغداد والتي زرتها قبل ايام... كن فرحات بما حصلن عليه من اعواد خشبية يابسة ومن اغصان الاشجار وجذوع بعض النخيل الصغيرة يبتسمن لما حققنه من صيد ثمين!

سألت مرافقتي في الرحلة وكانت من اهل القرية عن الحطب، فهل كل هذا الحطب لايقاد تنانير الخبز؟ فقالت :

- كلا انه للتدفئة، فالشتاء على الابواب ولا بد من خزن كميات كبيرة منه للطبخ ايضاً، فالغاز غالي الثمن والنفط اصبح يقاس بميزان الذهب!

فبعد ان تركنا تنانير الطين واستخدمنا تنور الستيل عدنا الى القديم.. والعود احمد!

قلت لصاحبتي: هذا في الريف فكيف الحال في المدينة وكيف يوقد سكان الشقق في العمارات السكنية مدافئهم بعد ان عز النفط والغاز واصبحا اعز من الفاكهة في كانون.

ان ما اكتبه ليس بداية لقصة ادبية قصيرة، بل لاستطلاع اقتصادي يحمل الحقيقة المرة، ففي بلد يعوم على بحيرة من النفط تقضي فيه النساء ساعات طويلة في جمع الحطب بدلاً من الانتاج والعمل او تربية الاولاد او تكوين حياة اسرية وعاطفية سعيدة كباقي نساء العالم. انها مأساة اقتصادية واجتماعية يجب حلها سريعاً، فسعر قنينة الغاز حالياً بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ دينار في المناطق الشعبية و ٣٥٠٠ دينار في المناطق المرفهة اقتصادياً وسكانها على قدر من السعة في المعيشة اليومية. ووصل سعر عبوة النفط بعد تنظيفها من زيت الطعام، هذه العبوة سعرها ٢٥٠٠ دينار، واذا كانت هذه العبوة تملأ خزانين لمدفأتين من نوع سانيو او فوجيكا لليوم الواحد من الاستهلاك فكم تحتاج العائلة شهرياً من النفط؟ سنجد في عملية حسابية بسيطة انها تحتاج الى ٧٥ الف دينار شهرياً للنفط فقط بأقل تقدير خاصة ان بيع مدافئ الكهرباء قد توقف واصيب سوقها بالكساد نتيجة عدم تحسن وضع الكهرباء في بلدنا برغم التصريحات المستمرة لوزير الكهرباء والمديرين المسؤولين عن كهرباء المحافظات وسيبقى طفلنا الصغير يقرأ (والى متى يبقى البعير على التل) في ضوء (اللالة) في شتاء بارد وقارس ومعتم..

شرط توفر النفط الابيض

في مدينة الصدر كانت هناك مجموعة من الصبية الصغار يتحلقون حول عربة بائع النفط في سباق محموم لشراء تنكة من النفط بسعر ١٥٠٠ دينار بينما ينشغل البعض الاخر باللعب بذيل الحمار الذي يجر العربة..

في حين شاهدنا مجموعة اخرى تتحلق حول بائع الغاز في مدينة الحرية لانه يبيع بثمن ارخص من مناطق بغداد الاخرى، حيث سعر قنينة الغاز ٢٠٠٠ دينار ووصل الزحام حد العراك بين العوائل.. وظلت احدى النساء تصيح اتركوا الغاز وعودوا الى الحطب فهو ارخص.. سنقطع الاشجار لنتدفأ.

لا تتصوروا ان هذا مشهد في تراجيديا تلفزيزنية بل هو حقيقة، اذ يحاول الكل خزن ما يمكن خزنه من وقود فرمضان الكريم دخل ابوابنا وبعده الشتاء في حين ظل بائع المدافئ الكهربائية الصغيرة والمدافئ الزيتية يضع يده على خده. في سوق الشرطة الرابعة الشعبي يقول ابو حيدر وهذا هو اسمه:

عندما اشتريت كميات كبيرة من المدافئ في الصيف كان لدي امل بتحسن الكهرباء ولكن مع الاسف سأخسر...فبضاعتي راكدة..

هكذا هي الصورة هذه الايام وسيقى السؤال مشروعاً عند كل من لا يسعفه وضعه الاقتصادي لشراء وقود غالي الثمن: هل نتدفأ بنار الحطب هذا الشتاء؟

وزير النفط يؤكد بقاء مخاطر تخريب انابيب النفط

قال وزير النفط ثامر الغضبان ان البنى التحتية في قطاع النفط لا تزال تواجه التهديدات بالتخريب ووقوع هجمات تؤخر خطط زيادة الانتاج. وقال الغضبان: هناك تهديدات بين مدة واخرى من قبل جماعات عدة لكننا سنستمر في خطط زيادة الانتاج ، واضاف: اية عملية تخريب ستؤدي الى تاخير الخطط. وقال الوزير: اتخذنا المزيد من الاحتياطات كما اننا مستعدون لمواجهة التهديدات واكد ان العراق ينتج حالياً ٢,٥ مليون برميل يومياً ويصدر منها ١,٨ مليون برميل من البصرة وكمية ضئيلة من الشمال الى مصب جيهان على البحر المتوسط في تركيا. ولم يفصح عن الكميات التي يتم تصديرها من الحقول الشمالية مكتفياً بالقول انها غير مستقرة وتخضع لاعتبارات امنية. وتابع ان القدرات غير الكافية للمصافي العراقية والمزيادة الكبيرة في اعداد السيارات المستوردة بعد سقوط النظام تشكل اسباباً رئيسة لمواصلة استيراد المحروقات من تركيا.

توتال الفرنسية تفوز بمناقصة ايرانية

اعلنت شركة توتال الفرنسية اخيراً فوزها بمناقصة اجرتها شركة النفط الوطنية الايرانية لتطوير المرحلة الحادية عشرة من حقل فارس الجنوبي وانشاء وحدة لانتاج الغاز المسال في ايران ونقلت مصادر الانباء الايرانية عن المدير التنفيذي لشركة النفط الوطنية ان الشركة الفرنسية تعهدت بتنفيذ الاعمال الهندسية والدراسات المتعلقة بوحدة انتاج الغاز المسال حتى نهاية عام ٢٠٠٦ ليتم بعدها اتخاذ قرار بشأن توظيف الاستثمارات لافتاً الى ان الجانبين سيتباحثان حول توقيع عقد لبدء العمليات الانشائية عقب اجراء الاعمال الهندسية ودراسة السوق والاسعار.

الولايات المتحدة تفقد بريقها لاستثمار اموال الدول النفطية

يبدو ان المؤشرات التي صاحبت التدفقات النقدية الهائلة الى الولايات المتحدة الامريكية اثناء الصدمة النفطية التي شهدتها حقبة السبعينيات من القرن الماضي لن تتكرر، الامر الذي اصبح يثير التساؤلات والجدل بشأن مدى الجاذبية التي باتت تتمتع بها الموجودات الامريكية وعلى وفق ما جاء في احد المصادر الصحفية اخيراً فإن كلاً من الحكومة الامريكية والمؤسسات المالية كانت قد حققت مكاسب هائلة من ارتفاع اسعار النفط في السبعينيات عندما لجأت الدول المصدرة للنفط الى استثمار ارباحها في موجودات يهيمن عليها الدولار فيما عرف وقتها بعملية (اعادة تدوير البترودولار) الا ان معظم مديري الاموال نبهوا الى ان الدول المصدرة للنفط لم تعد تعتبر الموجودات الامريكية جاذبة بشكل كاف في هذه المرة وبحسب مؤسسة كلاريوم كابيتال مانجمينت لادارة صناديق المخاطر فمن الواضح ان الامر اصبح ينطوي على عصبية زائدة بشان توظيف الاموال في الولايات المتحدة متوقعة ان يصبح الوضع مختلفاً جداً عما كان عليه في فترة السبعينيات وبرغم صعوبة تقفي اثر الاصول الامريكية التي تم مؤخراً شراؤها الا ان مؤسسات ادارة الاموال ترجح ان بعض اموال النفط في الاقل ما زالت تتحرك باتجاه السندات الامريكية الامر الذي اصبح يشكل عاملاً مهماً خلف انخفاض ايرادات الخزانة الامريكية وبشكل غير مسبوق وفي الوقت الذي وصل فيه العجز الحكومي الى مستوى قياسي فإن استثمار المزيد من (البترودولارات) في الولايات المتحدة من شأنه ان يدعم مستوى العائدات مع العلم ان التدفقات النقدية من قبل منتجي النفط كانت قد ساعدت في دعم واسناد الدولار الامريكي في حقبة السبعينيات وبحسب المحللين فإن انخفاض معدلات الفائدة الامريكية اضافة الى انخفاض قيمة الدولار الامريكي نفسه مقابل اليورو خلال الثلاث سنوات الماضية جعل من الاستثمارات التي يسيطر عليها الدولار اقل جذباً في اوساط الدول المنتجة للنفط وفي هذه الاثناء فإن التدابير الخاصة بمكافحة الارهاب بما في ذلك تجميد اموال مشتبه بها ادت ايضاً الى ابتعاد بعض الدول المنتجة للنفط من الاستثمار بكثافة في الولايات المتحدة.

تخليص السوق من حمى التكهنات

يقول وزير الخزانة الامريكي جون سنو: (في الوقت الحالي ان اسعار النفط تشكل عاملاً معاكساً للاقتصاد).

ويضيف: ان الجغرافية السياسية للنفط وحالة عدم اليقين الحالية تتسبب في ظاهرة قصيرة الامد واننا ملتزمون بتشجيع اصلاحات للسياسة في جميع بلداننا لتسريع عودة الاسعار الى مستوى معقول.

الا ان محللين يقولون ان معظم العوامل هي خارج سيطرة مجموعة السبع التي تمثل الدول الصناعية الاكثر غنى في العالم. وقالت ناريمان بيرهافيش كبيرة خبراء الاقتصاد في شركة " غلوبال انسايت" للابحاث الاقتصادية ان المشكلة هي ان اسواق النفط عند اقصى حد لها والطلب يتزايد اسرع من العرض.

اضافت: اوبك لا تتلاعب بالسوق ، لا احد يستطيع احد فعل الكثير حتى تثمر الاستثمارات التي تجري حالياً في مجال النفط. وقالت: ان مجموعة السبع قلقة من انه اذا بقيت اسعار النفط عند هذا المستوى او ارتفعت بشكل اكبر فإن ذلك سيعيق الاقتصاد العالمي.

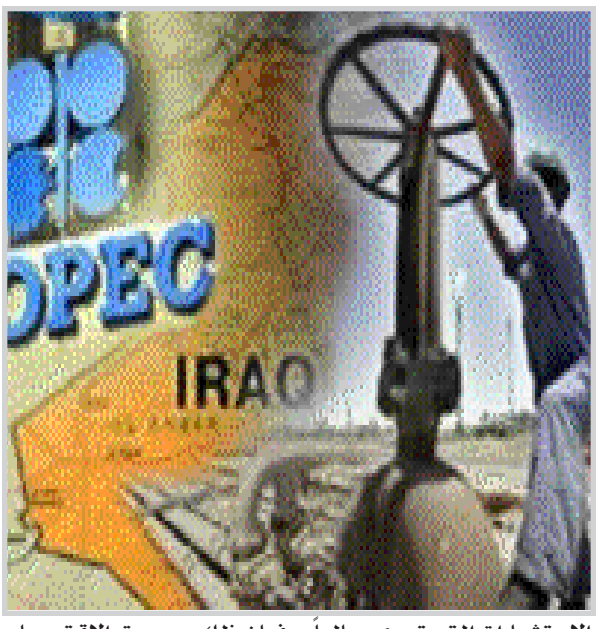

وقال جوزف كوينلان الخبير الاقتصادي في بنك امريكا انه من غير الواقعي ان نعتقد ان مجموعة السبع يمكن ان تؤثر في اسواق النفط. وقال : اعتقد ان اسواق النفط ستتغير عندما يتباطأ النمو العالمي، وتابع ان تكون مجموعة السبع فعالة في اسواق العملة الا انه ليس لها تاريخ في التأثير على اسواق النفط ووافقت بيرهافيش على ذلك الرأي الا انها قالت ان مجموعة السبع ترغب في الاعراب عن مخاوفها بشأن الخطر الكبير على النمو الاقتصادي العالمي. وقالت: من الواضح ان هذه الدول قلقة واعتقد ان ذلك يعكس قلقاً حول القدر الذي ستؤثر به اسعار النفط في النمو ولكن ذلك لا يعني ان مجموعة السبع تتمتع بقدر كبير من التأثير انها لا تملك التأثير. وفي محاولة للتعبير عن رأي متوازن دعت مجموعة السبع في بيانها الدول المستهلكة الى زيادة فعالية وكفاءة استخدام الطاقة كما دعت الى مزيد من الشفافية في الاسواق العالمية للحصول عليتدفق فعال في المعلومات حول العرض والطلب وبشكل اساسي من خلال وكالة الطاقة الدولية.

ووصف رئيس البنك المركزي الاوربي جان-كلود ترشييه ارتفاع الاسعار انه مشكلة خطيرة. وقال: كل ما نشهده اليوم غير مشجع مضيفاً انه اذا بقيت الاسعار مرتفعة فإن ذلك سيعيق بالتأكيد الاقتصاد العالمي.

وقال سنو ان مجموعة السبع ربما تكون قادرة على تخليص السوق من حمى التكهنات. واضاف: اننا نحث الدول التي تمتلك مخزونات ان تبذل ما بوسعها لضمان ان تكون الامدادات كافية لتلبية متطلبات السوق مؤكداً ان مثل هذا الالتزام من جانبهم لتوفير احتياطات كافية (من النفط) سيساعد على التعامل مع حالة عدم اليقين في السوق الى حد ما وهي الحالة التي تغذي على ما اعتقد بعض التكهنات التي ترفع اسعار النفط.